التفسير المقارن: مفاهيم وقواعد ومجالات

Comparative interpretation: concepts, rules and areas

الدكتور: أوسالم محمد نذير

جامعة احمد بن بلة وهران 1 ـ الجزائر

البريد الالكتروني: oussalem2021uni@gmail.com

الملخص

من المجالات الجديدة أكاديميا وتدوينيا ،مجال التفسير المقارن ،فبقدر ما هو قديم وجودا وصناعة ودورانا في كتب الأقدمين ابتداء من أجمع التفاسر للإمام أبي جعفر الطبري ومرورا بما جاء بعده من التفاسير المتميّزة ذات النّفَس الاجتهادي والتجديدي ، فهو جديد يتميّز بصورته ولونه عن سائر ألوان التفاسير الأخرى التي أخذت تتمايز وتستقل بمجالها عن سواها ، وجدّةُ التفسير المقارن هي التي تجعله غضّا طريّا يحتاج إلى رعاية جادّة مستمرّة على يد الباحثين المتخصّصين في مجال التفسير وعلوم القرآن ، ليضعوا له تعريفا دقيقا يحدّد ملامحه ويميّزه عن سائر الألوان التفسيرية والمجالات المقاربة ،ثم توضع له مناهج تُعين على البحث فيه ضمن قواعد تضبط سير المقارنة ،وتضمن . في الحدود المعقولةِ . العلميّةَ والموضوعية حتى تُجنَّب قدسية القرآن مُلامسة أيّ انحراف أو انجرار نحو الزيغ أوالضلال.

كلمات مفتاحية : التفسير ،المقارَن ،تعريف ،ضوابط ،مجالات

Abstract

One of the new fields, academically and in writing, is the field of comparative interpretation, so as much as it is old, its existence, industry, and rotation in the books of the ancients, starting from the collection of exegesis of Imam Abu Jaafar al-

المنارة للاستشارات

Tabari, and passing through the distinguished interpretations that came after him of discretionary and innovative breath, it is new and distinguished in its image and color from other colors of other interpretations Which began to differentiate and independent of its field from others ,the novelty of comparative interpretation is what makes it soft and needs continuous serious care by researchers specialized in the field of interpretation and the sciences of the Qur'an, to put an accurate definition for it that defines its features and distinguishes it from other interpretive colors and approximate fields. And it guarantees - within reasonable - scientific and objective limits so that the sanctity of the Qur'an is avoided touching any deviation or being drawn into aberration.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبيّالأميّ وعلى آل محمّد وصحبه أجمعين وبعد:

فالكلام عن القرآن وعلومه يرفع الدرجات ويمحو السيئات ويبلغ بصاحبه إلى أسمى الغايات ،فالكلام يسمو بسمو ما نتكلم به ،والعلم دوما يزكو بشرف المعلوم ،وذلك ما نرجوه في مثل هذه المداخلة المتواضعة ،في هذا الملتقى الزكيّ المحمود الذي نرجو له كل رفعة ونجاح ،فهو ملتقى المناهج جعله الله سببا لكل المباهج .

رجوت من هذه المداخلة سببا في الولوج إلى دراسة واحدٍ من العناصر الأساسية في مجال التفسير المقارن وهو تعريفه ،كمارأيت أنّ أجدر ما ينبغي العناية به ما تعلق بمفهوم التفسير المقارن بين سائر الألوان التفسيرية الأخرى من التحليلية والإجمالية والموضوعية ،ليستوي على سوقه ،ويكون مجاله واضحا والسبيل فيه سالكة، حتى لا يكون فيه الباحثون كراكب متن عمياء ،وخائضٍ فيه خوضَ حاطب ليل ؛فالميدان ميدان قرآن، وتبيُّنُ حقائقه لا يكون دون السير على مسالكه الواضحة ،ومناهجه المسطورة بيد ذوي الدراية والقريحة .

المنارة للاستشارات

فالويل كل الويل لمن خاض فيه دون علم ،كمن رام الجبل الشامخ الوعر وهو أعرج ،وطلب الضياء وهو أعمى ،فصناعة التفسير عسيرة ،أما التفسير المقارن فقد يكون أعسر ،ولذلك يحتاج فيه الباحثون إلى معرفة مجموعة من العلوم ما لا يكون التفسير إلا بها ولا يسمى الرجل مفسرا إلا بامتلاكها ،فاستمداد علم التفسير حدّدت وصنّفت وأودعت بطون الكتب ،فلينظر كل من يريد الخوض في مجال التفسير المقارَن هل ملكها أم غاب عنه مُدُّها ونصيفها .

ففي هذه المداخلة كلام مفصل حول تعريف التفسير المقارن ،ومناقشة وافية لما جاء فيه من التعاريف على يد جِلة من العلماء والباحثين المحترمين ،كما جئتُ بكلام مقتضب حول قواعد التفسير المقارن وضوابطه دون أن أستطرد في شرحها ،فالوقت لا يسمح بذلك ،أما مجالات التفسير المقارن فقد أظهرتها بما يليق بها من البيان الذي لا يقتضي التطويل بل يكفي فيه الاختصار والاجتزاء .

والخاتمة كانت توجيها وشدّا على يد الشباب حتى يجتهدوا ويستعدوا لما يرجى منهم من خدمة القرآن وعلومه ،والسعي للابتكار والتجديد ،وما ذلك على الله ببعيد .

المنارة للاستشارات

التعريف بالتفسير المقارن :

تحديد مفاهيم المصطلحات ليس أمرا هيّنا ،خصوصا إذا كان مركّبا بأيّ شكل من أشكال التركيب ، وهنا التّركيب وصفيّ ،والبداء ضرورةً تكون بالجزء الأول "التفسير" ،فالجزء الثاني "المقارن" ثمّ ننتقل إلى تحديد مفهوم المركب "التفسير المقارن" .

1 . التّفسير لغة :

هذه الكلمة من مادة ف س ر، والفسْر البيان، وبابه ضرب[1]. قال الزمخشري :" هذا كلام يحتاج إلى فَسْر وتفسير، وفسّر القرآن وفسر، ونظر الطبيب في تفسرة المريض وهي ماؤه المستدل به على علّته وكذلك كل ما ترجم عن حال شيء فهي تفسرته "[2] ؛ والتفسير على وزن تفعيل من الفَسر[3]،وقيل هو مقلوب السَّفر تقول أسفر الصبح إذا أضاء،ولكنّ الألوسيَّردّه بقوله "لا يسفر له وجه"[4].جاء في كلام العرب: فسَرت الدّابة فسّرتها، إذا ركضتها محصورة لينطلق حَصَرها، وهو يؤول إلى الكشف أيضا [5]، وفَسر الشيء يفسِره بالكسر، ويفسُره بالضم، فسرًا وفسّرهُ أبانه ،والتفسير مثله ؛الفسْر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المُشكل ،والفسر نظَرُ الطبيب إلى الماء ،وكذلك التَّفسرة وقيل التّفسرة البول الّذي

[1] الصّحاح ، الإمام الرازي ،ص 396.

[2] أساس البلاغة، الزمخشري ص341 ؛ و مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص636 ؛و الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس ،ص 164.

[3] الإتقان في علوم القرآن السيوطي، 221/2.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسيّ ،4/1.

[5] البرهان في علوم القرآن الزركشي، 261/ 1 .

المنارة للاستشارات

يُستدلّ به على المرض[6]،فكما يكشف الطبيب علة المرض بالنظر، فكذلك المفسِّر يكشف عن شأن الآية وقصّتها ومعناها والسبب الذي نزلت فيه[7].

فمادّة ف س ر بشتّ استعمالات العرب في مخاطباتها لا تعدو أن تكون بمعنى الكشف، والفسْر عند ابن عاشور هو أيضا:"الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح لمعنى المفسَّر عند السّامع"[8]؛ كما قال المرتضى الزبيدي :"وفي (البصائر)[9]: كلّ ما ترجم عن حال شيء فهو تفسرته "[10]

2 . اصطلاحا:

يمكن القول إن أهمّ التعريفات الاصطلاحية التي يتداولها الباحثون لا تتجاوز في أغلبها ما ذهب إليه أمثال الزمخشري وأبي حيّان الأندلسي وابن جزيّ الغرناطي والشريف الجرجاني والزرقاني ومحمد الطاهر ابن عاشور ،منهم من اختصر ومنهم من طوّل ليخرج بذلك عن حدّ التعريف ،كدأب أبي حيان الأندلسي الّذي جمع فيه بعض أمداد التفسير ،فقال " علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك "[11] ، وقريبا منه صنيع الزركشي :"علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللّغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[12].

---

[6] لسان العرب، ابن منظور ، 261/10.

[7] تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي ، د. خضير جعفر ص 42 ؛ ينظر معالم التنزيل ، البغويّ ، ت خالد عبد الرحمان العك و مروان سوار، 1 / 7 .

[8] التحرير والتنوير ،محمد الطاهر ابن عاشور ، 1/10 .

[9] يقصد (بصائر ذوي التميز) للفيروزبادي .

[10] تاج العروس من جواهر القاموس ،الزبيدي ،1/145 .

[11] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 26/1 .

[12] البرهان في علوم القرآن ، 148/2 .

المنارة للاستشارات

وأنا هنا أختار تعريف ابن عاشور لاختصاره وجامعيته ،وقد جمع فيه من معالم التفسير وقيوده ما تفرّق عند غيره من طرْف خفيّ ،فعرّفه قائلا :" هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسّع"[13].

نلحظ أن ابن عاشور كسابقيه استعار كلمة "علم" واستعملها في تعريفه، إلاّ أنه يعتبر ذلك من باب التجوّز فقط [14]؛وذلك ما أكده محمد حسين الذهبي ،وكأنه اختصر فكرة أبي حيان الأندلسيّ قال: "يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حدّ ؛ لأنّه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله،أوأنّه المبيّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها "[15].

3. تعريف كلمة " المقارَن "لغة :

لا بدّ من الاحتراز عند البحث عن معاني مادة ق ر ن ،فاختيار واحد من تلك المعاني لا بدّ أن يكون مناسبا لِما أريد به هذا المصطلح "التفسير المقارن" ،فمفهومه لا يكون صحيحا إلا من خلال اختيار المعاني اللغوية الصحيحة ،لأن المعنى الاصطلاحي تابع للمعنى اللغوي؛و الإشكال قد يبدأ من هنا،إن لم يُتدارك في بدايته .

مادة ق ر ن عند ابن فارس ذات أصلين صحيحين : أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء ،والآخر شيء ينتأ بقوة وشدّة [16].

بالرجوع إلى الجمهرة نجد أن ألفاظا كثيرة من مادة ق ر ن تحمل معنى الجمع ،نحو القَرْن بمعنى الصلة من الصوف تجمع لتغزل ،وأقرنت الشاة إذا ألقت بعرها مجتمعا لاصقا بعضه مع بعض ،وجيء بالقوم قُرانى ،على مثال فُعالى ،أي قُرن بعضهم إلى بعض ،وعلى سَننها كلمات أخرى تحمل معنى الجمع ، ولفت نظري استعمال لفظ "مُقارنة "على وزن مُفاعلة عند قوله :فلان قرين فلان ،إذا كان لا

---

[13] التحرير والتنوير ، 13/1 .

[14] ينظر المرجع نفسه ،وما جاء فيه من مناقشة علمية التفسير وعدمها 12/1 . 13 .

[15] التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، 15/1 .

[16] معجم المقاييس في اللغة ، ابن فارس ،ص 883 .

المنارة للاستشارات

يفارقه ، والجمع قرناء ،وتَقارَن القوم مقارنة وقِرانا[17] ،والجامع بين تلك الكلمات كلها معنى الجمع ،وذلك قيْد له أهميته في المعنى الاصطلاحي كما سنرى.

كما جاءت إحدى كلمات المادة نفسها بمعنى التفرّق ،نحو بأرض فلان قرون من العشب ،أيْ شيء متفرق ،وأصاب أرض بني فلان قرون من العشب ،أي شيء متفرّق[18] ؛ويقال أيضا دور قرائن يستقبل بعضها بعضا ؛ودور قرائن متقابلات[19] .

دارت مادة ق ر ن في المعاجم القديمة حول الأصلين المذكورين عند ابن فارس ،أحدهما النتوء وما يحمله من شدة ،وما يقابله من لين في كلمة ذكرها ابن حجر :"ويقال للرَّجُل عند الغضب :قد استقرنت وأردت أن تنفقئ ؛من أقرن الدّمل واستقرن إذا لان "[20] ؛والجمع ويقابله التفرق في كلمة واحدة ،وقد سبق ذكره عند ابن دريد .

ومحصَّل معاني تلك الكلمات كما يفهم من كلام الباحث العراقي معروف العاني أنها قد تنحصر في الجمع والوصل والملازمة والمماثلة والمرافقة ،وهي بذلك ليست بعيدة عن معنى المساواة والمكافأة والنظير[21] ،ولعله بكلامه هذا قد أصاب المحز ،وأعطى حلا يرفع به إشكال استعمال "المقارن" بدل "الموازن" .

أما (المعجمالوسيط) فقد حمل إلينا معنى محدَثا لم تشر إليه المعاجم القديمة ،ولعلّ ذلك من اجتهاد المجمعيين في توليد المصطلحات ،جاء في المعجم :" قارنه مقارنة ،وقرانا :صاحبه واقترن به .وقارن بين القوم : سوّى بينهم .....وقارن بين الشيء بالشيء أو الأشياء وازن بينها ،فهو مقارن .ويقال :الأدب المقارَن أو التشريع المقارن .(محدثة) ."[22]

---

[17] جمهرة اللغة ،ابن دريد ،2/793 . 794 ،بتصرف .

[18] جمهرة اللغة ،2/ 793 .

[19] تاج العروس من جواهر القاموس ،الزَّبيدي ،8/475 ،وأساس البلاغة ،الزمخشري ،ص 364 .

[20] غراس الأساس ، ابن حجر العسقلاني ،ص 362 .

[21] التفسير المقارن : دراسة تأصيلية ، محمود عقيل معروف العاني ،ص 33 .

[22] المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ،ص 784 .

المنارة للاستشارات

لا أستبعد إمكان التأثر باللغات الأجنبية ،بل وبالدراسات الأجنبية في مجال المقارنات الأدبية والألسنية وغيرها ، والتي كانت تحمل مثل تلك المصطلحات والدراسات ،فكلمة "مقارنة " تساوقها في اللغة الفرنسية كلمة (comparé)[23] .

4 . تعريف كلمة " المقارن " اصطلاحا :

قد أصاب الباحثُ العراقي معروف العاني حينما أشار إلى أنه لم يعثر بعد استقراء المعاجم القديمة على الدلالة الاصطلاحية لكلمة "مقارَن" ،ولكنه تكلّف حينما أراد أن يحتمل معنى "المقابلة" أي المقابلة بين شيئين بمعناه الحديث ليضمّنه مصطلح المقارنة بمجرد الاستعمال اللغوي ،من قولهم "دور قرائن :يستقبل بعضها بعضا "[24] ، والمقابلة جزء لا يتجزأ من معنى المقارنة ولكنها لا تكفي وحدها ،بل هي جزء سطحي إلى جانب غيرها من المضامين ، إذن هو معنى بعيد جدا بالمفهوم العميق للمقارنة ؛فالمقارنة عملية إرادية يقوم بها الباحثون ليصلوا إلى حقائق علمية ،وليست مجرّد تقابل بين رأيين ، كتقابلالدور بعضها مع بعض ،أي بعضها قُبالة بعض .

ثمّ كان أكثر دقّة ووضوحا حينما قال :" ولم يتعرّض أحد منهم إلى المعنى المراد منه في الاصطلاح بقصد الموازنة بين شيئين أو أكثر ومقابلة الآراء بغية حصول نتيجة متباينة تميّز بين الأوجه من ناحيتي التشابه والاختلاف ثمّ الكرّ عليها بترجيح الأقوال الخاضعة للأدلة "[25] ،وذلك نفسه ما ورد في المعجم الوسيط كما رأيناه من قبل .

إذن فمصطلح مقارن وارد على ثقافتنا ،لم يتكلف العلماء الأقدمون عندنا صناعته ،وإن كانت المقارنة كحقيقة علمية واردة في كتب اللغة والكلام والتفسير ،وهي عمل علميّ حاضر بكثرة ،وهو دليل غنى الفكر عند المسلمين الذين عظموا الاجتهاد ،وتحروا بشدة معرفة الأدلة والتفريق بين القوي منها والضعيف ،والصحيح منها والزائف ،وما تردّدوا قط في مناقشة أيّ رأي يقبل الأخذ والرّد إلا

---

[23] ينظر في معجم لاروس Larousse 2009ص 228 .

[24] سبق ذكر هذا المعنى .

[25] التفسير المقارن ،معروف العاني ،ص 33 .

المنارة للاستشارات

ما كان منها قطعيّا محكما من آيات القرآن ،وما صح من سننه . صلى الله عليه وسلم . فهذا ديدنهم من عهد الصحابة إلى يوم الناس هذا .

مقارنة أم موازنة ؟

ثم يضعنا معروف العاني بين يديّ إشكال آخر[26] ،وهو استعمال الموازنة إلى جانب المقارنة ،فهل هذا المصطلحان متساويان ؟ أم أحدهما جزء من مسمّى الآخر ؟

رأيت من الباحثين من يستعملهما في الآن نفسه بمعنى واحد ،كما صنع أحمد العمري في أحد عناوين كتابه :"التفسير المقارن أو الموازن "[27] ،واستعماله لحرف "أو" دليل التسوية بين المصطلحين ،وإن كان للفظ "مقارن" معنى الجمع وللثاني معنى التقدير[28]،ومعنى الترجيح .

يقول ابن دريد :"الوزن أصله مثقال ،ومثقال كلّ شيء وزنه ،ثمّ كثر ذلك في كلامهم حتى قالوا : فلان راجح الوزن ،إذا نسبوه إلى رجاحة الرّأي ،وشدّة العقل . ويقال :وازنت فلانا موازنة ووِزانا ،إذا كافأته على فعل خير أو شر .قال الشاعر (الطويل) :

وأيُّ هذيل وهي ذات طوائف

يُوازِن من أعدائها ما نُوازن ".[29]

و الموازنة في حقيقتها . عند قول العز بن عبد السلام:(قاعدة في الموازنة بين المصالح والمفاسد) . هي :النظر في الآراء المختلفة للجمع بينها أو لترجيح إحداها على الأُخر بناء على الغلبة ،وهو سبيل يلجأ إليه عند تزاحم الآراء وتعارضها[30].

يخلص العاني إلى أنّ :

---

[26] ينظر التفسير المقارن ،ص 35 .

[27] دراسات في التفسير الموضوعي للقصص ،أحمد جمال العمري ،ص 44 .

[28] ينظر المفردات ،الراغب ص 868 .

[29] جمهرة اللغة ،830/2 .

[30] التفسير المقارن ،ص 36 ،ينظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،ابن عبد السلام ،ص 51 .

المنارة للاستشارات

المقارنة : تفريق بين أمرين أو أكثر بغية أن نتعرّف على ما بينهما من نقاط الالتقاء وأوجه الافتراق، وقد يمتد إلى التعرف على عوامل الالتقاء وأسباب الافتراق .

الموازنة : فهي محاكمتنا للأدلة بإخضاعها لضوابط منهجية أصولية بتقديم ما رجحت كفّته في الميزان بعرض الأقوال في المسائل وأدلتها ،ثمّ بموازنتها ،فالانتهاء إلى النتيجة المطلوبة[31].

ذلك اجتهاد من أخينا العاني مطلوب ،ولكننا إذا نظرنا إليه بعين النقد ،جازلي أن أقول :إن ما ذكره من عناصر الموازنة سينطبق بشكل أغلبي على المقارنة . كما سنرى عند التعريف الاصطلاحي للتفسير المقارن . ؛والّذيأراهأن الموازنة هي جزء من المقارنة ،فالموازنة أعمّ من المقارنة ،ولذلك كان استعمال مصطلح المقارنة أكثر رواجا بين الباحثين ،لا يستعملون الموازنة إلا بعد استعمال المقارنة ،استئناسا لا استقلالا. وربّما ربط بعضهم استعمال المقارنة بوحدة الزمن ،وأما الموازنة فلا يشترطفيه ذلك إذا ووزن بين هذا أو ذاك [32]،فمثل هذه الشروط متكلفة ليست ذات عائدة على الموضوع نفسه .

وقد نبّهت روضة فرعون إلى أن المعنى اللغوي للمقارنة كان بمعنى المصاحبة حين أسند الفعل إلى الشيء الّذي وقع بينه وبين غيره مقارنة ،بينما حين أسند إلى شخص يُجري مقارنة بين شيئين أو أكثر ،اختلف المعنى ،فلوحظ فيه معنى الموازنة ،فقارن بين الشيئين أو الأشياء ،وازن بينهما [33]،والصحيح عندي أن الموازنة هي جزء من المقارنة . كما قلت سابقا . لأننا أثناء المقارنة سنجمع بين الأقوال وننظر ونوازن وقد نرجح ،وقد نجعل الأقوال على وِزان واحد ،لا نرجّح أحدها على الآخر .....

5 .المفهوم الاصطلاحي للمركب الوصفي "التفسير المقارَن":

"التفسير المقارن" ،هذا المركب الوصفي مصطلح محدث ،لم يجد طريقه إلى مجال الدراسات القرآنية إلا في خمسينيات القرن الماضي ،حينما كان يدرّس في

[31] التفسير المقارن ،معروف العاني ، ص 40 .

[32] ينظر فقه اللغة المقارن ،إبراهيم السامرائي ،ص 40 .

[33] التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق ،بتصرف ، روضة فرعون ،ص41 .

المنارة للاستشارات

الأزهر[34] ضمن علوم التفسير الأخرى ،ولكن لم يحظ بالاهتمام إلّا في السنوات القليلة الماضية قد لا تبلغ العشرين سنة إلا إشارات في بعض البحوث التي تكلّمت عن صنوه "التفسير الموضوعي" . كما سيأتي ذكره لاحقا . ،ولذلك لا نجد له تعريفا دقيقا ، وما بين أيدينا من التعريفات تحتاج إلى نظر حصيف ،كما تفتقر إلى ميزان يُبِين عمّا فيها من الثغرات لعلّنا نهتدي إلى تعريف يقترب بنا إلى حقيقة "التفسير المقارن" ،لتكون صورته طبق ما أراده منه من صنع فكرته وألمح إلى مبادئه والهدف منه ،وتلك هي بداية أيّ علم وحقيقته قبل أن ينضج ويكتمل .

أشهر التعريفات المتداولة:

أظن أنّ أول من حاول وَضْع تعريف للتفسير المقارن أحمد السيّد الكومي ،وكلّ من جاء بعده استند إليه وإن زاد ونقص أو قدّم وأخّر في تعريفه ،وأشهر تلك التعريفات هي :

1 . تعريف أحمد الكومي: "هو بيان الآيات القرآنية على ما كتبه جمع من المفسرين ،بموازنة آرائهم والمقارنة بين مختلف اتجاهاتهم والبحث عمّا عساه يكون من التوفيق بين ما ظاهره مختلف من آيات القرآن والأحاديث ،وما يكون من ذلك مؤتلفا أو مختلفا من الكتب السماوية الأخرى ."[35]

2 . تعريف فضل حسن عباس:هو "دراسة أقوال المفسّرين والموازنة بينها واستخلاص القول الراجح وبيان أسباب الترجيح "[36].

3 . **تعريف فهد الرّومي**: هو " الّذي يعمد المفسر فيه إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوصا قرآنية أخرى ،أو نصوصا نبوية (أحاديث)،أو للصحابة،أو للتابعين، أو للمفسرين ،أو الكتب السماوية الأخرى ،ثمّ

---

[34] وذلك في كليّة أصول الدّين على ما ذكره فضل حسن عباس . رحمه الله . ،ومن الأساتذة الّذين درّسوا هذه المادة وكتبوا فيه مذكرات الدكتور عبد الرحمن عثمان . رحمه الله . ،ينظر التفسير المقارن ،د. محمود عقيل العاني ،ص 80 .

[35] التفسير الموضوعي للقرآن العظيم ، أحمد السيد الكومي و محمد أحمد القاسم ،ص 17 .

[36] التفسير والمفسّرون ،أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث ،فضل حسن عباس ،206/1 .

المنارة للاستشارات

يقارن بين النصوص ،ويوازن بين الآراء ،ويستعرض الأدلة ، وبين الراجح وينقض المرجوح "[37].

4 . تعريف مصطفى إبراهيم المشني :هو "الموازنة بين آراء المفسرين في بيان الآيات القرآنية ،والمقارنة بين مناهجهم ومناقشة ذلك وفق منهجية علمية موضوعية "[38].

5 . تعريف روضة عبد الكريم فرعون : لها تعريفان اثنان ،وسنقف وقفة طويلة عند أكثر من وقوفنا عند غيرها ،لأن بحثها طُبع وانتشر ، وصار بين أيدي الناس مرجعا مهمّا في هذا الباب .

التعريف الأول: هو أول تعريفها أثناء إنجازها لبحثها ،وهو ما يزال مثبتا في مخطوطة الرسالة المنشورة في النت ،تقول :" ولم أزل أتطلّب الحدود الجامعة المانعة لتعريف "التفسير المقارن" حتى خلَصت إلى أنّه: "لون من التفسير بالرّأي ،يقوم على جمع الأقوال التفسيرية المختلفة اختلافا معتبرا في موضع واحد من القرآن ،ودراستها لبيان الراجح منها ،بدليل مقبول "[39].

التعريف الثاني :تقول أيضا :"ولم أزل أتطلّب الحدود الجامعة المانعة لتعريف "التفسير المقارن" حتى خلَصت إلى أنّه:" بيان كلام الله تعالى بالرّاجح من الأقوال التفسيرية ،المختلفة اختلافا حقيقيا معتَبرا،بعد الموازنة بينها في ضوء منهجية علمية منضبطة "[40].

6 . تعريف جهاد محمد فيصل النصيرات :هو"الموازنة بين الآراء التفسيرية في ضوء منهجية علمية"[41].

7 . تعريف محمود عقيل معروف العاني : هو " بيان اختلاف المفسرين وآرائهم في معاني النصوص القرآنية ودلالاتها ،واستيضاح مناهجهم من فنون ومعارف

---

[37] بحوث في أصول التفسير ومناهجه ،فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ،ص 61 .

[38] التفسير المقارن . دراسة تأصيلية ،مصطفى إبراهيم المشني ،مجلة الشريعة والقانون ،العدد السادس والعشرون . 2006م ص 148 .

[39] التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق (مخطوط الرسالة) ،روضة عبد الكريم فرعون ،ص35 .

[40] التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق (المطبوع) ،روضة فرعون ،ص 43 .

[41] التفسير المقارن . إشكالية المفهوم / مقال (النت) ،جهاد محمد فيصل النصيرات ،ص 19 .

المنارة للاستشارات

،ورصد تعدُّد اتجاهاتهم بالأسباب والدّوافع ، ومناقشته ضمن منهجية علمية موضوعية ناجعة ليتحصل الرّأي الراجح من مرجوحه استنادا إلى أدوات الترجيح وضوابطه "[42].

مناقشة تلك التعاريف :

أ) المؤاخذات المشتركة بين تلك التعاريف :

في البداية أقول إن تلك التعاريف قد تأثّر المتأخر منها بالسابق ،ولا شك ،أن الكومي هو من أبرز من أثّر فيمن جاء بعده ،كونه أوّلَ مَن عرف التفسير المقارن ،وقد انتشر كتابه كأهم مرجع في التفسير الموضوعي في أوائل عهد الناس به ،فعلق تعريفه للتفسير المقارن بأذهان من اطلع عليه من الباحثين ،وبنوا عليه فكرتهم عن النوع الجديد من التفسير ،وممّا علق بفكرهم من قيود تعريف الكومي ما يلي :

1 .قيد الموازنة

2 . بيان آيات القرآن

3 . بيان أقوال أو آراء المفسرين

4 . وبيان اتجاهاتهم

5 . التوفيق بين الآيات والأحاديث

6 . موازنة بين النصوص الدينية والقرآن الكريم .

تلك القيود التي جاءت مجتمعة في تعريف الكومي تفرق أغلبها بين تلك التعاريف ،وربما عذرنا احمد الكومي في ذلك كله ،شأنه كشأن كل من يبدأ في شيء وينشئه قبل أن يصل إلى من بعده فيكمّله ،وإن انتقده من جاء بعده في كثير من تلك القيود ،وحاول أن يصنع تعريفا جديدا ،ولكنه لم يفلح في أن يعطينا تعريفا دقيقا يقترب به من حقيقة التفسير المقارن الذي لا يختلفون حول تصورهم له ؛ولولا خشية الإطالة لتناولت تلك التعريفات واحدا بعد آخر ،ولكنني

[42] التفسير المقارن . دراسة تأصيلية تطبيقية ،ص 88 .

المنارة للاستشارات

آثرت أن أقصر دراستي لتعريف روضة فرعون، لأسباب بعضها شكلي وأخرى موضوعية .

ب) المؤاخذات الخاصة بتعريف الدّكتورة روضة فرعون :

فأما الأسباب الشكلية فتتمثل أولا في انتشار بحثها بعد طباعته ،وادعاؤها أن تعريفها حدّ ،والحقيقة غير ذلك وهي تعرف جيدا مواصفات التعريف الحدّي الّذي يكون جامعا مانعا التي لم يتوفر عليها تعريفها ،كما أن لها تعريفين اثنين ،الأول ماأثبتته في رسالتها ،والثاني ما أثبتته في الكتاب المطبوع ،وقد مهّدت لهما بتمهيد واحد ،لا ندري أيصدق على الأول أم على الثّاني ؟ ولا أدري ما الّذي حدا بها إلى أن تغيّر التعريف ، مع أن الأوّل أقرب إلى حقيقة التفسير المقارن من الثاني .

وقبل أن أناقشها في بعض قيود التعريفين لا بدّ أنبّه إلى حقيقة أساسية لا أرى جواز تأخير بيانها ، وبذلك سأحلّ إشكالا وقع فيه بعض المعرِّفين ،من بين هؤلاء روضة فرعون ؛لا يمكن أن نتصور أن التفسير المقارن بيان لكلام الله بقدر ما هو عملية نقارن فيها بين تفسيرين أو أكثر ،ليكون بين أيدينا ما نسدّد من تلك التفاسير ،تفسيرا أو تفسيرين أو أكثر ،وقد تسمح لنا معاني القرآن باستحداث تفسير جديد قد يساوي أو يَرْجَح تلك التفاسير ،وهذا لا يكون إلا بالمقارنة العلمية بين تلك التفاسير المختلفة ، وهذا ما تسايره في تعريفها الأول ،ويجعله أعلق بالتفسير المقارن من تعريفها الثاني .

ذلك ما يقودني إلى تحليل أهم قيد في تعريف روضة فرعون ،أكّدت عليه في التعريفين ،وبررته بكلام يحتاج إلى تمحيص ،والقيد هو " لبيان الراجح منها " أي من الأقوال وفي تعريفها الثاني "بيان كلام الله بالراجح من الأقوال التفسيرية " .

لو أننا سرنا على ما عليه اصطلاح الأصوليين في تعبيرهم عن الترجيح بقولهم :"هو تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ليُعمل بها ،أي بالأمارة التي قويت ".لقلنا إن ترجيح قول يعني إزاحة القول الثاني،فهناك راجح ومرجوح ،ولا مكان للمرجوح عند وجود الراجح ،وهذا ماعبر الباحث المعاصر الحربيّ عن الترجيح عند المفسرين

المنارة للاستشارات

بقولهم :هو" تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدلّ على قوته ،أو قاعدة تقوّيه ،أو لتضعيف أو ردّ ما سواه من الأقوال "[43].

ولكنها مع ذلك تحاول أن تقنعنا أنّها تعني بالراجح :

. قولا مختارا بين الأقوال ،أو

. جمعا بين قولين ،أو

. قد يكون قولا جديدا .

كلّ ذلك يكون أثناء التفسير المقارن ،ولكن لا يستصحبه مصطلح الراجح ،ولعلها قلّدت في ذلك شيخها حسن عباس ؛وأمر آخر لا بدّ من التنبيه إليه أيضا ،وهو أن المقصود أثناء التفسير المقارن ليس الترجيح ابتداء بل ،البحث والنظر ثمّ استخلاص ما يمكن من النتائج العلمية المتوصل إليها ،سواء كانت ترجيحا لقول أو تقوية له ،أو جمعا بين الأقوال . إن كانت الآية تسعف في ذلك . ،لذلك أجدني أرفض استعمال قيد الترجيح وتحميل التفسير المقارن عبء ذلك بشكل مطلق ،وإن حاولت تأييده بعد ذلك ،فمعناه ينطلق مباشرة إلى الرفض ،والحقيقة العلمية المعهودة في فهم القرآن لا تقبل ذلك ،لأنه يتحمّل معاني كثيرة ووجوها متعدّدة ،يقرّها نص القرآن نفسه ،كما يقول ابن عاشور :"وقد تكثر المعاني بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر تكثيرا للمعاني مع إيجاز اللفظ ،وهذا من وجوه الإعجاز "[44] ،وقد كان أكثر صرامة حينما نهى نفي معنى من المعاني المحتملة في القرآن ،إن كانت الآية تتحمله :"وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في حصر ولا تجعل الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحا بذلك "[45].

وعند رجوعي إلى مقال فيصل النصيرات ،وجدتُني وإياه نصدر من معين واحد ،وقد عبر عن ذلك بقوله :" هناك إشكالية هامة تتعلق بجعل بعضهم الترجيح بين

---

[43] قواعد التفسير ،عند المفسرين . دراسة نظرية تطبيقية ،حسين بن عليّ بن حسين الحربي ،ص 35 .

[44] التحرير والتنوير ،محمد الطاهر ابن عاشور ،91/1 .

[45] المرجع نفسه ،ص 97/1 .

المنارة للاستشارات

الآراء التفسيرية ركنا هاما في التعريف كما فعل د. المشني ،وكذا فعلت د. روضة فرعون ،لا أدري ما أهمية هذا القيد "[46].

وخلاصة المسألة ،ونهاية الإشكال أن أقول :لماذا نحصر المقارنة في الترجيح ،ألا يصح أن تكون المقارنة معرفة للتفاسير المختلفة ،وربما النظر فيها إلى صحة اختلاف المفسرين حول الآية الواحدة ،التي تحتمل معاني متعدّدة غير متنافرة ،ولا متفاوتة ،فهي بالنسبة للآية على وِزان واحد بحيث لا يصح ترجيح أحد التفاسير على سواه .

والآن أقترح تعريفا للتفسير المقارن ،أضعه بين يدي الباحثين في مجال الدراسات القرآنية ،لينظروا كما نظروا في سائر التعريفات ،فلربما سُدّدوا فيضعون تعريفا أحسن منها .

تعريفي هو :" بذل الوسع في بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين التفاسير في موضع بعينه من القرآن، ثمّ ترتيبها قوة وضعفا والحكم عليها قبولا ورفضا،مع إمكان الجمع أو الترجيح بينها وفق الضوابط العلمية ."

قواعد التفسير المقارن:

يمكن أن أقترح هنا القواعد التي تصلح للتفسير عموما أهمها [47]:

1. كلّ عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه
2. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
3. اختلاف القراءات في الآية يعدّد معانيها
4. اعتبار السياق القرآني
5. التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة
6. تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي
7. تعاهد المشتهر عند العرب من كلام
8. إذا دار اللفظ بين الإفراد والاشتراك حمل على الإفراد

---

[46] التفسير المقارن إشكالية المفهوم ،ص 13 .

[47] ينظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، ص . ص 136 . 143 ،وينظر أيضا في التفسير المقارن لمعروف العاني ،ص . ص 374 . 443 .

المنارة للاستشارات

9 . إعادة الضمير إلى أقرب مذكور

10 . الكلام إذا احتمل الإظهار على الإضمار ،فالحمل على الإظهار أولى

11 . إذا احتمل لفظ الآية الحقيقة والمجاز ،حمل عل الحقيقة

12 . إرجاع المتشابه إلى المحكم ما لم يحتج إليه بإيضاح الغامض فيه

18 . إجراء المطلق على إطلاقه ما لم يقم دليل التقييد نصا أو دلالة

مجالات التفسير المطلق :

لا بدّ من التحديد الصحيح لمجالات التفسير المقارن ،والابتعاد به عمّا لا علاقة له به ،ففي بداية نشأة هذا العلم والتفكير فيه،ربّما ظن بعض الباحثين كأحمد الكومي أن التفسير المقارن يشمل المقارنة بين الأحاديث والآيات ،وبين النص القرآني والنصوص الدّينية الأخرى ،فمثل هذه المقارنة خروج عن الإطار الصحيح للتفسير المقارن ،اما التفريق بين الألوان التفسيرية المعروفة كالتحليلية والإجمالية والموضوعية لا يكون بشكل مطلق ،فقد يكون فيها العون للتفسير المقارن خصوصا اللونَ الأول ،الذي لا يكون أيُّ لون من تلك الألوان إلا به ،فهو قاعدتها الأساسية .

ثم لا يمكن أن تكون المقارنة صحيحة إلا إذا كانت الآية في موضع بعينه هو المنطلق، والمقارنة بين التفاسير حول آياتٍ مختلفة المواضع لا تصح البتَّةَ.

أمّا تناولُ مناهج المفسِّرين ومذاهبهم أثناء المقارنة لا لزوم له ،لأن الذي يهمّ المفسِّر المقارِن هو الأقوال التفسيرية،وأما تناول المناهج فله مجال آخر عند أهله والمتخصصين فيه .ذ

الخاتمة :

أقول في الأخير هذا جُهد المقل ،أردت من خلالهأن أبرز بعضا من الاقتراحات والانتقادات ، وإنارَةَ السبيل أمام الباحثين الشباب خاصّة ، لعلهم يسيرون على هذا الدرب ،فيجتهدون اجتهادا يمكِّنهم من الوصول إلى ما لم نهتد إليه ،فتتّسعُبذلك دائرة الآراء والأفكار ،وتنضح المفاهيم ،وتستقيم مناهج البحث لتخدم كل مجالات العلوم خصوصا ما تعلّق منها بعلوم القرآن ،فهي لا تزال غضة

المنارة للاستشارات

طرية ،ذاتَ تربة خصبة تصلح لإنبات علوم جديدة ،وبحوث سديدة تخدم معاني القرآن وتظهر مصداقيته كلّما أطلت الشبهات بقرنها ،لتساهم باستمرار في تجديد المناهج وتصنع القواعد الضابطة للتفسير المقارن وغيره من ألوان التفسير المعروفة ،فتندحر الأباطيل ويظهر الحق المبين

وبالله التوفيق ،عليه توكلنا ومنه نرجو المزيد من العطاء والخير.

قائمة المراجع والمصادر:

الصّحاح ، الإمام الجوهري ،دار الحديث ،2009 م . القاهرة

أساس البلاغة، الزمخشري،دار المعرفة ،بيروت . لبنان .

الاتقان في علوم القرآن السيوطي ،ت مصطفى ديب البغا ،دار الهدى ،الجزائر.

بحوث في أصول التفسير ومناهجه ،فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ،مكتبة التوبة . 1416 هالرياض

البرهان في علوم القرآن ،الزركشي ،دار الفكر ، ط 3 ،1980 ،سوريا .

البحر المحيط في التفسير ،أبو حيان الأندلسي،دار الكتب العلمية ،ط3 . 2010 م ،لبنان .

تاج العروس من جواهر القاموس ،الزَّبيدي ،دار صادر ،ط 1 . 2011 م ،بيروت لبنان .

التحرير والتنوير ،محمد الطاهر ابن عاشور،الدار التونسية للنشر ـ تونس،المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر /1984م .

التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق ،روضة فرعون ،دار النفائس ،ط1 . 2015 م ،الأردن .

التفسير الموضوعي للقرآن العظيم ، أحمد السيد الكومي و محمد أحمد القاسم ،ط 1 . 1982 ،القاهرة .

التفسير والمفسّرون ،أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث ،فضل حسن عباس ،ط1 . 2016 ،دار النفائس ،الأردن .

التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي ،ط8 . 2003 م ،دار وهبة ،القاهرة .

جمهرة اللغة ،ابن دريد،ط1 . 1988م ،دار العلم للملايين ،لبنان .

المنارة للاستشارات

دراسات في التفسير الموضوعي للقصص ،أحمد جمال العمري ،ط2 . 2001م ،دار الخانجي ،القاهرة .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسيّ، ط4 . 1985م ،دار إحياء التراث ،لبنان .

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس ،ت فاروق الطبّاع ، ط1 .1993م ،دار مكتبة المعارف ،لبنان .

غراس الأساس ، ابن حجر العسقلاني ت توفيق محمد شاهين ،ط1 . 1990 ، ،مكتبة وهبة ،القاهرة .

قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،ابن عبد السلام ،دار المعرفة ،لبنان .

قواعد الترجيح ،عند المفسرين . دراسة نظرية تطبيقية ،حسين بن عليّ بن حسين الحربي الناشر: دار القاسم ط1 . 1996 ،السعودية .

لسان العرب، ابن منظور ،ط1 . 1988م ،دار إحياء التراث ،لبنان .

معالم التنزيل ،البغويّ ، ت خالد عبد الرحمان العك و مروان سوار ،ط1 . 1986م ،دار المعرفة ،لبنان .

معجم المقاييس في اللغة ،ابن فارس ،ت شهاب الدين أبو عمرو ،ط1 . 2011م ،دار الفكر للطباعة ،لبنان .

المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية .

معجم لاروس Larousse 2009

مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني،ط2 . 1997م ،دار القلم . دمشق / الدار الشامية . لبنان .

قائمة الرسائل المجلات والمواقع الإلكترونية :

التفسير المقارن إشكالية المفهوم المشاركون: د. جهاد النصيرات المجلة: مجلة جامعة مؤتة العدد ورقم مجلد 30 عدد 1 الناشر: جامعة مؤتة السنة: 2015

التفسير المقارن . دراسة تأصيلية ،مصطفى إبراهيم المشني ،مجلة الشريعة والقانون ،العدد السادس والعشرون . 2006م .

المنارة للاستشارات

التفسير المقارن : دراسة تأصيلية ، محمود عقيل معروف العاني ،رسالة دكتوراه ،2013 .

التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق (مخطوط الرسالة) ،روضة عبد الكريم فرعون .

المنارة للاستشارات